مالك يعظ بعض الخلفاء

بقلم أ.د محمد أديب الصالح

كتب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه إلى بعض الخلفاء كتاباً جاء فيه:

"اعلم أن الله تعالى قد خصَّك من موعظتي، إياك بما نصحتك به قديماً وأتيت لك فيه ما أرجو أن يكون الله تعالى جعله لك سعادة وأمراً جعل به سبيلك إلى الجنة. فلتكن – رحمنا الله وإياك – بما كتبت إليك مع القيام بأمر الله ومـــا استرعاك الله في رعيته، فإنك المسؤول عنهم صغيرهم وكبيرهم. وقد قال النبي صلى الله عليه وســـلم: كلكـــم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، وروي في بعض الحديث أنه يؤتى بالوالي ويده مغلولة إلى عنقه فلا يفك عنه إلا العدل.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول:

"والله إن هلكت سخلة بشط الفرات ضياعاً لكنت أرى الله سائلاً عنها عمر". وحجَّ عشر سنين وبلغني أنه كان ما ينفق في حجه إلا اثني عشر ديناراً. وكان ينزل في ظل الشجرة ويحمل على عنقه الدرة ويدور في الأسواق يـــسأل عن أحوال من حضره وغاب عنه. وبلغني أنه وقت أصيب حضر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فـــأثنوا عليـــه، فقال: المغرور من غررتموه، لو أن ما على الأرض ذهباً لافتديت به من أهوال المطلع، فعمر رحمه الله تعالى كان مسدداً موفقاً مع ما قد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، ثم مع هذا خائف لما تقلد من أمور المسلمين فكيف من قد علمت.

فعليك بما يقي بك من الله إلى الله وينجيك منه غداً، واحذر يوماً لا ينجيك فيه إلا عملك. ويكون لك أسوة بما قد مضى من سلفك، وعليك بتقوى الله، فقدمها حيث هممت، وتطلع فيما كتبت به إليه في أوقاتك كلها وخذ بـــه نفسك فتعاهدها في الأخذ به والتأديب عليه واسأل الله التوفيق والرشاد إن شاء الله تعالى.

*مجلة حضارة الإسلام –السنة ١٠– العدد ٢ –ربيع الثاني ١٣٨٩هـــ /تموز ١٩٦٩م